مينون .. أمبرواز توماس

Ambroise Thoma MIGNON

هذه الأوبرا مقتبسة من مسرحية "فلهلهم ميستر" Wilhelm Meister للشاعر الألماني المعروف "جوته" Goethe. وقد وضع ألحانها الموسيقي الفرنسي "أمبرواز توماس" Ambroise Thomas، وقدمت لأول مرة على مسرح "أوبرا كوميك" Opera Comique بباريس في نوفمبر عام ١٨٦٦.

شخصيات الأوبرا:

لوثاريو: عازف قيثارة مسن	Lothario
فيلين: ممثلة	Philine
لايرتي: زميل فيلين	Laerte
جارنو: رئيس جماعة الغجر	Jarno
مينون: فتاة غجرية	Mignon
فلهلم ميستر: شاب ثري من فيينا	Wilhelm Meister

فردريك: معجب بفيلين Frederic

زمن الأوبرا: القرن الثامن عشر

المكان: ألمانيا وإيطاليا

الفصل الأول

المنظر - حانة في الريف

تغص الحانة بلفيف من المسافرين وأهل البلدة وبعض الغجريات والمغنيات وعلى رأسهن الممثلة "فيلين" وزميلها "لايرتي". وفجأة يقطع جو المرح الصاخب أنغام حزينة منبعثة من قيثارة العازف المسن "لوثاريو". إنه كئيب شارد الفكر منذ أن فقد ابنته "سبيراتا" التي حاول العثور عليها دون جدوى. وتتساقط نفسه غما وحزنا عندما يبصر أمامه غجرية شابة تدعى "مينون" تشبه ابنته الضالة وفي نفس سنها.

ويصيح "جارنو" رئيس الغجر:

– هيا يا منون!

وهنا تتقدم من حلبة الرقص فتاة وادعة فاتنة يعلو وجهها كثير من الحياء.

مينون: كلا، لن أرقص!

ويهم جارنو برفع عصاته ليهوي بها على جسد الفتاة. إلا أن "فلهلم ميستر" الشاب الذي قدم من فيينا، يتقدم منه شاهرا مسدسه.

فلهلم: دعها تذهب!

ويخضع جارنو لتهديد فلهلم.

وينصرف الجالسون، فلا يبقى في الحانة سوى الممثلة فيلين التي تود التعرف بذلك الشاب الجرئ "فلهلم"! وتنجح خطة الممثلة في تحقيق غرضها، فترسل زميلها "لايرتي" ليشتبك معه في حديث، ثم تمر أمامها وكأن مرورها جاء عفوا، فيقدمها لايرتى إليه ثم يدير زمام الحديث في لباقة وبراعة. إلا أن فيلين بمكرها ودهائها تستأذن في الانصراف حين تلحظ إعجابه بها حتى تزيد من شوقه إليها! ويبقى الشاب بمفرده. وهنا يبصر فتاة ترقبه في غفر وحياء فيسألها:

فلهلم: ما اسمك؟

مينون: إنهم يدعونني مينون!

فلهلم: من والدك، ومن أين أتيت؟

مينون: لا يعلق بذهني من هذا إلا شيء واحد..

وتنشئ الفتاة تتحدث وكأنها غارقة في لجة حلم لذيذ، عن أرض بها أشجار برتقال في لون التبر، وسماء جلواء صافية، وحدائق نضرة جميلة.. إنها الأرض التي ترعرعت فيها في كنف والديها، ثم تتذكر قصرا ذا أعمدة رخامية، وبحيرة ساجية رقراقة..

مينون: وا حسرتاه! لم لا أعود إلى ذلك الشاطئ السعيد؟ لكم أتمنى أن أعيش وأموت هناك!

وهنا يأتي رئيس جماعة الغجر ليأخذ مينون. لكن فلهلم يقول له محتدا:

فلهلم: انتظر، فسوف أعتقها وستصبح حرة من اليوم!

وتصيح الفتاة في نشوة وكأنها لا تصدق ما حدث:

مينون: هل حقيقة أصبحت حرة؟!

وفي فرح جنوني تتقدم من "لوثاريو" عازف القيثارة المسن الذي تراه مقبلا على بعد من فناء الحانة.

مينون: لقد تحررت! أواه، لقد ساعدتني أنت أيضا. هيا تقدم وشاركني سعادتي!

لكن العازف الحزين يجيب قائلا:

لوثاريو: لا أستطيع البقاء هنا، بل يجب أن أحلق عاليا مع الطيور الحزينة!

ثم يرتفع صوته بغناء ساهم حزين.

وفجأة تنبعث من داخل الحانة ضحكات صاخبة، وتتلوى الغيرة في نفس الفتاة عندما تتبين أنها ضحكات الممثلة فيلين.

مينون: هيا بنا يا لوثاريو، فلنبتعد عنها!

ويتوارى الاثنان بعيدا وراء الحانة، في حين تظهر فيلين ومعها "فردريك" – أحد المعجبين. وعندما تقع عين الممثلة على فلهلم تومئ إليه.

فيلين: أود أن أعرفك بفردريك!

ويواجه كل من المعجبين الآخر بنظرات عدائية ملتهبة!

وهنا يأتي الممثل لايرتى لينادي فيلين

لايرتى: فيلين! لقد دعانا البارون لإحياء حفل تمثيلي في قصره!

فيلين: هذا رائع! فسوف نمثل "حلم منتصف ليلة صيف". وأما أنت يا عزيزي "فلهلم ميستر" فإننا نرحب بلحاقك بنا هناك!

وينصرف فردريك والغيرة تسحق قلبه، في حين يبقى فلهلم وقد عقد العزم على تلبية دعوة فيلين. إلا أن خاطرا يومض في ذهنه: ماذا يفعل بالفتاة التي اشترى حريتها منذ قليل؟!

وتتوسل إليه مينون قائلة:

– خذني معك، سوف أتنكر في زي خادم!

ويتردد فلهلم بادئ الأمر، لكنه لا يلبث أن يصحب مينون ليلحق بفرقة فيلين. ولا يبقى في الحانة سوى لوثاريو عازف القيثارة الحزين.

الفصل الثاني

المنظر الأول - غرفة ملابس

تجلس الممثلة فيلين أمام المرآة لتتزين استعدادا للحفل وهي تتحدث مع زميلها لايرتى. ويسمع طرق على الباب ثم يظهر فلهلم ميستر ومعه مينون متنكرة. إلا أن جمال فيلين الصارخ ينسيه الفتاة الوادعة التي معه. وينصرف لايرتى، فتخبر فيلين فلهلم أن البارون يود أن يراه، فيخرجان معا وتبقى مينون بمفردها.

وتتقد مينون نحو مائدة الزينة بدافع حب الاستطلاع، فتضع على وجهها بعض المساحيق والعطور، ثم تنظر إلى نفسها في المرآة، فتتبين أن بوجهها شيئا من الفتنة! وتجتاحها رغبة جامحة في أن تعرف حقيقة العلاقة بين فلهلم وفيلين فتختفي داخل صوان الملابس. وبعد قليل يدخل فردريك وهو يصيح:

فردريك: وهكذا جعل عمي البارون من هذا الماخور مأوى لفيلين!

وفي هذه اللحظة يدخل فلهلم، وإذ يبصر فردريك يقول له والغضب يقفز من عينيه:

فلهلم: ماذا تفعل هنا؟

فردريك: إنني أسألك نفس السؤال!

ويستل فردريك سيفه، ولا تكاد المبارزة تبدأ بينهما حتى تخرج مينون من مكمنها. وينسحب فردريك، فيسأل فلهلم مينون في حدة:

فلهلم: ما الذي دعاك إلى كل هذا؟

وبعد جدال قصير بينهما تدخل فيلين ومعها فردريك. لكن مينون لا تكاد تقع عينها على فيلين حتى تنفعل وتأتي بحركات عصبية ظاهرة، فتسأل فيلين فلهلم:

فيلين: أظنها تغار مني؟!

ولأول مرة يدرك فلهلم أن مينون امرأة كاملة الأنوثة تحس بالغيرة مثلما تحس سائر النساء!

المنظر الثاني – حديقة قصر البارون

في سرادق فخم متألق، تمثل الفرقة مسرحية "حلم منتصف ليلة صيف"

وفي مكان منعزل عن الحديقة تتجول مينون وقد تأججت في صدرها نيران الشوق لرؤية فلهلم. وتزيد صيحات المتفرجين وهتافاتهم للممثلة فيلين من غيرة الفتاة وألمها.

وفجأة تسمع نغمات شجية تنبعث من قيثارة قريبة. أنها قيثارة لوثاريو العازف المسن. فتتقدم منه لتشكو إليه:

مينون: هل تسمع الهتاف؟.. إنهم يهتفون باسمها: "فيلين"! أواه!.. لماذا لا تهوي صاعقة من السماء فتشعل القصر نارا؟!

وفي يأس قاتم تنصرف الفتاة ويلحق بها المغني.

وينتهي الحفل، فتفتح أبواب السرادق ويخرج منها جمهور المعجبين وقد التفوا حول فيلين، إلا أن الممثلة الكبيرة تتبين أن أكثر المعجبين إليها – وهو فلهلم – غير موجود!..

لقد أدرك فلهلم خطأه حين احتد على مينون، فذهب ليبحث عنها ويسترضيها. وهو الآن في الحديقة يحاول أن يعثر عليها.

وفجأة تظهر مينون بصحبة لوثاريو. ويبوح العازف المسن للفتاة قائلا:

لوثاريو: لقد انتقمت لك فأشعلت النار في القصر!

وهنا تصل فيلين. وإذ ترى مينون – وهي في ملابس الخدم – تقول لها بقصد تحقيرها وجرح كبريائها:

فيلين: احضري لي باقة الورد التي أهداني إياها فلهلم.. لقد تركتها على خشبة المسرح!

وتمضي الفتاة كسيرة النفس نحو المسرح..

وحالما تندلع النيران من السرادق، فيسود المكان هرج ومرج..

وفي تلك اللحظة من الخطر الداهم يدرك فلهلم قيمة مينون بالنسبة له، فلا يكاد ينجو بنفسه من الحريق حتى يسرع إلى المسرح الذي تعلوه النيران ويحمل الفتاة بين ذراعه. إنه يحب مينون ولا أحد سواها!

الفصل الثالث

المنظر - رواق في قصر بإيطاليا

يصطحب فلهلم حبيبته مينون إلى بحيرات شمال إيطاليا وهناك يستأجر لها قصرا لتمضي فيه من الوقت ما يسمح لها باستعادة ما فقدته في الصدمة التي لحقت بها. ويذهب معها العازف المسن لوثاريو الذي تعلق بالفتاة إلى حد أنه لم يعد يقوى على البعد عنها.

وعندما يصل الثلاثة إلى القصر، يبدو كل شيء هناك كأنه مألوف تماما للوثاريو! ويضطرب العازف ثم يمرق إلى أحد الحجرات.

وتجيل الفتاة النظر في المناظر التي حولها – أشجار برتقال في لون التبر، وسماء جلواء مشرقة، وحدائق نضرة جميلة.. إن شيئا تراه ليس غريبا عليها!

ويجلس فلهلم يسكب في أذن مينون أعذب أحاديث الحب وأحلاها..

وفجأة يصعق الحبيبان عندما يبصران لوثاريو يدخل عليهما وقد ارتدى أفخر ألوان الثياب!

لوثاريو: إنني أحييكما وأرحب بكما في منزلي وبلدي!

ثم يقدم لمينون علبة حلى فاخرة ويقول لها:

لوثاريو: تجدين بداخلها سوارا وكتاب صلاة. لقد كانت ملكا لابنتي "سبيراتا" عندما كان هذا منزلي في يوم من الأيام!

وتفحص مينون محتويات العلبة في انفعال زائد. إنها تفتح كتاب الصلاة وتقرأ فيه بصوت مرتفع، وحالما يسقط الكتاب من يديها وهي مع ذلك تستمر في تلاوة الصلاة! وفجأة يدفعها شعور خفي غامض إلى الاندفاع نحو حجرة جانبية. وبعد لحظة تعود وهي تصيح:

مينون: لقد رأيتها.. رأيت صورة أمي!

ويبكي لوثاريو فرحا وهو يعانق مينون.

لوثاريو: سبيراتا!.. ابنتي!

ثم يتعانق فلهلم ومينون، ويبارك عناقهما الأب لوثاريو!

ستار